صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

facebook / sadaALhoryeh
freequd@gmail.com

2 على حافة الهاوية
3 اليأس السياسي
4 بقايا صور
5 حكاية أنثى
6 سجن حلب
7 ثورة الألم

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * ثورية * منوعة *

صدى الحرية / العدد التاسع والعشرون / الجمعة 14 / شباط / 2014.

على حافة الهاوية

تتلخص مشكلة المدينة أنها وبعد المصالحة المفترضة بدأت تعيش حالة الفوضى ما دفع البعض للتململ من الواقع والتهكم فيه وتداول الحديث عن انتهاء الأزمة في سوريا بشكل تدريجي معلنة عودة الأمور إلى مجاريها في ظل بقاء نظام الأسد وضمن إطار محدد يُعنى بتغيير بعض رموزه السابقة وإن بقي هؤلاء يلعبون في خيوط المسرحية بالخفاء مدللين على ذلك ببعض المؤشرات لاسيما حالة التقهقر التي تمر بها الثورة والمهادنات هنا وهناك، وبلا ريب فالكلام السابق ما هو إلا ترويج من ورائه غاية أكبر تخدم هؤلاء، ومن هنا بدأت بعض الحالمين في قدسيا بالترحيب بهذه الفكرة والاستعداد لدخول المشروع عبر إنشاء منظومة قيادية جديدة تسير أمور المدينة في المرحلة الانتقالية وبدأ الطهاة يضعون لمساتهم الأخيرة لتنضج الكعكة ويبدأ التقسيم بحسب القوة والسيطرة على الأرض، الواقع أن المدينة هي الحلقة الأضعف في المنطقة ولذلك أسبابه فوجود ممثلين للمدينة لا يتمتعون بوضوح الرؤية وتقديم الأهداف الشخصية على الهدف الذي يخدم المصلحة العامة وما يحملهم على البقاء في كراسيهم هو الحفاظ على مصالحهم ومصالح من هم ورائهم، فيما يطمئن النظام لكون قدسيا اليوم هي غيرها المدينة التي ناصبته العداء يوماً، مدركاً بالوقت نفسه أن هذا التهميش خلقه أهلها، الغياب الواضح للقوة المفترض وجودها كرادع لجميع التصرفات والممارسات الخاطئة تعزى أسباب الواقع المأساوي الذي آلت إليه الأمور إضافة لغياب آلية عمل حقيقية تضمن أمن المدنيين وتحارب خلق وجاهات ورؤوس قيادية وهمية هدفها الإفساد بعلم وغير علم، ولقد أثبتت التجربة أن انعدام الرؤية في المراحل الأولى من المفاوضات مع النظام وما قبلها لمستقبل المدينة بدأت نتائجه بالظهور والطامة الكبرى ازدياد هذه الحالة وتعقيدها مع الأيام ما لم يتم وضع حد لها قبل فوات الأوان، وهو ما لم يفهمه البعض حتى اليوم، وما لم يدركوه أن النظام لم يهادنهم إلا لغاية في نفسه يمكن القول أنها لضمان حماية مستوطناته التي تحيط بالبلدة والتفرغ لبقية المدن السورية، إذاً تكمن المشكلة في غياب القدرة على إدارة الأزمة من خلال هيئات المجتمع المدني التي لم تتشكل حتى الآن على الأقل، من ناحية أخرى وتحت نفس العنوان بدأت المدينة بالانقسام تحت مسميات عدة من لجان شعبية إلى مجلس محلي وغيرها والكل يعمل لصالح شعاراتها، واليوم نسمع عن حالة انقسام أخرى في لجنة المصالحة إلى شقين، حتى الجمعية الخيرية المنشأة أساساً لخدمة الناس، والهدف معروف خلافات على القيادة...!! والجميع يتناسى أن القيادة هدفها خدمة المجتمع... هنا يستفزك السؤال فهل يعني ذلك أن المدينة باتت في مأمن وانتهت الأزمة، وكيف تبنى هذه القيادات في ظل استمرار حاكم مرفوض جماهيرياً هذا من ناحية، وكيف يعقل أن تبنى قيادات ليست منتخبة من الناس لتمثلهم... انقسام المدينة ما هو إلا صورة لانقسام سورية وخلق مزيد من الفوضى لطالما حلم بها نظام الأسد .

الحديث عن انتهاء الثورة هي خديعة يحاول البعض الترويج لها لتبرير أعمالهم وتهيئة الناس لاستقبالهم كقادة، بعد الحفاظ على مكتسباتهم الشخصية التي نالوها ذات مساء بادعائهم المشاركة في الثورة . الواضح إذاً أن طهاة الكعكة هم هياكل نساء لم تدرك أبعاد الموضوع فارتدت زي المقاتل العامل لخدمة المدينة ثم غرقت في بحر جهلها. ويبقى الخوف لدى البعض من انقطاع مادة الطحين عن المدينة ولتتحول الثورة إلى هياج سببه خلافات شخصية وربما تارات قديمة تهدأ إن أثيرت أمامهم كلمة (سيغيب الخبز)، ربما سنسمع ذات يوم أن ثورة قدسيا فشلت بعد انقطاع الخبز عنها، وخسارتها للمتعاطفين معها ما دعا الثوار لتفضيل الخبز والمصالح الشخصية وتكوين ثروات على دماء الشهداء الذين سقطوا على ترابها وتراب سورية.

اليأس السياسي

استؤنفت مفاوضات جنيف 2 بين وفدي المعارضة والنظام السوري فيما لم تحرز اللقاءات تقدماً يلحظ، حيث يستمر الخلاف بين الوفدين على جدول الأعمال إذ تصر المعارضة على البحث في هيئة الحكم الانتقالي فيما يصر النظام على مناقشة قضية الإرهاب، الواضح للناس في الداخل السوري أن النظام مفلسٌ سياسياً منذ الجولة الأولى على عكس الحالة التي يعيشها عسكرياً على الأرض فقوته النارية ما تزال تسيطر وتمطر المدنيين دون تمييز بصواريخها وبراميلها، ذكرنا في مقامٍ سابق أن المؤتمر مصيره الفشل وما هو إلا مماطلة وتمييع للقضية، فالرهان الذي لم يزل النظام السوري يراهن عليه هو فقد الثوار للبيئة الحاضنة كما يسميها نتيجة خلقه لفوضى إدارية وأمنية في المناطق التي لم تعد تقع تحت سيطرته ويعول على دعم الخارج له كونه القوة الوحيدة القادرة على حماية المصالح الغربية لاسيما الكيان الصهيوني عدوه المفترض، وهو ما لم ولن تستطيع المعارضة تحقيقه على الأقل في الأجل القريب، المشكلة تتجه مع امتداد المدة إلى التعقيد أكثر، والواضح ليس فقط غياب للدور العربي في الأزمة المشتعلة في أروقة السياسة في جنيف، بل فتور العمليات العسكرية وتحولها لمجرد ردات فعل من قبل الثوار، حيث أصبحت كل منطقة محررة خاضعة لإدارة لأحد التشكيلات المعارضة المسلحة، فهنا دولة الإسلام في الشام والعراق وهناك جبهة النصرة وهكذا، في شكل يقول أن البلاد خاضعة لمجموعة من الحكومات تدير مناطقها بشكل منفصلٍ عن غيرها، الأسوء أن هذه الإدارات يغيب عنها التنسيق الحقيقي والخبرة الإدارية، وهو ما لم ينقص النظام حتى اللحظة في إدارة مناطقه إذ ما زال قادراً على استجلاب موظفي الحكومة والدوائر الرسمية وتأمين الطعام في حين عجز عنه الثوار في مناطقهم مع غياب البديل والمشروع السياسي الواضح. هناك حالة من اليأس في انتهاء الحرب الدائرة من قبل المؤيدين للنظام فيما يتحدث الثوار عن عدم اقتراب لحظة الحسم، مع تشتت العمل حتى على مستوى البلدة الواحدة، لكن بلا شك اليأس السابق هو حالة سياسية يعيشها البعض ولا يمكن إنكارها، لكن ما لا يمكن أن يشك أحدٌ فيه أن النظام متآكلٌ من الداخل وأن سقوطه أمرٌ حتمي يدركه موظفو الدوائر الرسمية المفصلية وهو ما سوف تتحدث عنه صفحات التاريخ ذات يوم، ربما لا يمكننا الحديث عنها وبصورة شفافة نقول أنها لن تكون عامل الحسم السريع، لكنها تبقى إحدى أدوات الهدم الداخلي لبنية النظام الهشة أساساً والقائمة على الفكر الأمني البحت.

ليس المقصود من الكلمات السابقة فرض حالة جديدة من اليأس أو ترسيخ أخرى قديمة، بل ما هي إلا استفزاز لمشاعر الثوار وعقول أولئك الذين بقوا على الضفة الثالثة وكأنهم ليسوا شركاء في الأرض السورية، ولعل النصر أمام مرأى العين لكن الخوف من خوض المعركة والقبول بتواجد أمراء حربٍ من الطرفين هو من سيبقي النار مشتعلة وليس ثمة يأسٌ سياسي على مر التاريخ بل هناك مراوغات وإلتفافات على المصالح حتى تحقيق غاية الأقوى والأصلح، وليس ثمة يأسٌ عند المجاهدين ولا أقول الثوار وإن كان هناك ضعفٌ اليوم فلضعف الدعم وبقاء هؤلاء قلة على الأرض مستضعفون ولعل الأيام القادمة تكسبهم القدرة على المبادرة بعد تنظيم رؤيتهم والمسارعة في توحيد الصف.... فإسقاط نظام الأسد أولوية الثورة يأتي من بعدها إسقاط الأفكار والرموز التي تاجرت بدم الثورة، ولأننا تحدثنا عن المستضعفين لابد أن نرسل ونكرر الرسالة والوعد من الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ۞ ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾.

بقايا صور

حين تكون المرآة صافيةً تبدو الصورة فيها واضحة، لكن المرآة المكسورة تنقل إليك الحقيقة مشوّهةً وقد لَبِسَها الباطلُ فأفسدها، لأنّ المرآة المحطّمة لا تسطيع أن تجمع أجزاء الحقيقة في مشهدٍ واحدٍ، فيضيع الحقّ بضياع الحقيقة التي لا يمكن أن تظهر إلا في صورة واحدة، لأنّ كلّ فرعٍ منها أصل، إذ لا يمكن أن تقوم الحقيقة بأجزاء متناثرة منفصلة، هذه هي قصّتُنا مع الذين ظلمونا، وهذه هي قصتنا مع الذين أشفقوا علينا أيضا، على الرغم من التناقض بين الطرفين، إنّها قصة المرايا المحطمّة التي لا تكاد ترسم إلا بقايا صور.

من يشعر بحجم مأساة الشعب السوري بالكلام فقط لا يمكن أن يرى الصورة الحقيقية لتلك المأساة إلا إذا ذاق مرارة التهجير القسري، والحصار والتجويع، وكلمة: (يا حرام مساكين) ليست أقل سوءاً من سكاكين شبيحة النظام التي ذبحت براءة الطفولة في الشام حتى امتلأت ذاكرة الأطفال بصور القتل والذبح وحتى امتلأت أُنفوهم برائحة البارود، وآذانهم بأصوات القصف التي دامت كل تلك السنوات، لذلك أيها المشفقون علينا سوف نردُّ إليكم كلمة (يا حرام) ونقول لكم: (حرام عليكم!!) ولكم الشكر لمشاعركم الطيّبة التي لا تغني ولا تسمن من جوع، ولا تدفع ظُلما ولا تردع ظالماً، فلسنا في حاجة إلى شفقتكم.

حين تكون المرآة صافية ترسم على صفحتها صورةً واضحةً لكلّ معاني كلمة كلمة (عيب!!) وحين تتناثر أجزاء تلك المرآة المحطّمة تتقطّع كل تلك الحروف وتتناثر وتضيع، فيضيع معنى كلمة(عيب) فلا يعود له وجود في قاموس العصر، ذلك يشبه حال قرية هادئة مؤمنة تعرف معنى كلمة (العيب) ثم قامت الثورة على عهر السلطان الجائر، ثمّ أُرغم الثّوار على هجر البلدة بحجة حماية الضيوف الهاربين من القصف من أماكن أخرى، وخرج الثوّار وتفرّقوا في غيرها من القرى والبلدات الأخرى رغماً عنهم نزولاً عند رغبة شيوخ السلطان وتحت نوازع مصالحة واهية ولدت ميتة لأنها لم تثمر عن فك أسير ولم تثمر عن شرف، فإذا بهذه البلدة يُنْتَهَكُ مسجدُها من بعض أهل السَّفالة فيشربون الخمر في طوابقه العليا، ومن تحتهم صوتُ الأذان وصلوات المصلّين في الطابق الأدنى، هذه بقايا صورة من مرآة تحطّمَتْ فيها كلّ معاني المروءة، وفي الحقيقة هذه الصورة لا تمثّل المرآة المحطّمة فقط، بل هي تمثّل صورة المروءة المحطّمة في رؤوس بعض شيوخ البلدة الذين باعوا أنفسهم للدنيا، وليتهم أصلاً كانوا من أهل البلدة، إنّما جاؤونا في جناح ليلٍ مظلمٍ قبل الثورة بسنواتٍ فجلسوا في مساجد البلدة، ومزّقوا جَمْعَ أهلها وفرّقوا بين أبناء العائلة الواحدة، بحجة كلمات كنا نسمعها منهم قبل أن تقوم الثورة بسنوات (يا بتحضر الدرس عندي يا عند الشيخ فلان) على اعتبار أنّ الإسلام صار يجسّده ويمثّله شخصٌ واحدٌ هو هذا الشيخ المفتون، وهذا تعلّموه من رئيسهم الأسد الذي اختزل الوطن في شخصه، ولذلك أرادوا اختزال الإسلام في أشخاصهم، ولو وُجِدَتْ المروّة ما حدث مثل هذا في مسجدٍ أسسّه أجدادنا في قدسيا على التقوى منذ أكثر من نصف قرن وكان شرفاً للبلدة منذ القديم.

حين تكون المرآة صافية تنظر الداعرة إلى عُهرها فتعرفُ كم هي قبيحة من غير شرف، لكن تلك المرآة حين تتحطّم تتحول تلك الداعرة إلى جيش من العواهر وبنات الليل اللواتي صِرْنَ يتجولن في شوارع تلك البلدة الطاهرة ويدنسن طهرها ليل نهار، ولأن تلك المرآة محطّمة لا يرى شيوخ السلطان ذلك العهر أمراً خطيراً، هذا مفهوم الحرية الشخصية الذي دَرَسُوه في مدرسة الإسلام الغربي المعصرن. هل ضاعت النخوة إلى هذا الحد الذي صرنا فيه عباداً لعبيدٍ، رئيس وشيخ وسيدنا فلان وسيدنا علّاك البان وأضراب هؤلاء، وقد اتخذ كل واحد منهم إلهه هواه.

(الشيخ) لا يمد يده ليقبّلها المريدون، (الشيخ) لا يرضى قرشاً لم يحصل عليه من غير عرقٍ وتعبٍ وعملٍ شريف، (الشيخ) لا يرضى أن تهان حرمات الإسلام في البلدة، وأن تتحوّل بنات الليل فيها، (الشيخ) لا يساهم في إنشاء لجان شعبية تشبيحية ويرشّح للنظام بعض أسماء أصحابها الذين يتقاضون المال مقابل إقامة الحواجز في البلدة، وآخر الكلام دعوني أقول: سقى الله أيام زمان كان هنالك من يفهم معنى كلمة: (يا عيب الشوم !!!).

حكاية أنثى

حرة بنت الأحرار

حين فكرت أن اتحدث عنها كان في داخلي ألمٌ يعتصر الحروف... ألمُ غيابها يداعب قلمي ويستفز الرغبة بالكتابة، حتماً لأنني قرأت في عينيها حلماً في ليلة كل ما فيها يصرخ بالفرقة ... بالوحدة... بالغياب... الوحدة قيد... الغياب قهر... لكنها لم تكن أبداً مقهورة، بل كانت كعادتها ترفض القيد كما ترفض القهر، بل تحارب كل يأس... تكسر كل قيد... تفتح كل الأبواب رغم ضعفها... هناك من يحسب أنني أتحدث الآن عن دمشق كعادتي... لكنني هذه المرة أصوغ حروفي عن أنثى... عن صبية حلمت بدمشق مدينة لكل من أحبها... ثارت على واقعها ورفضته كما رفضت كل ظلم وإن كان طيشها عنوان حياتها... ربما كنا نسميه طيشاً واليوم نسميه اندفاع... ثارت على أخطاء أقرانها... على أخطاء أصدقاء دربها... تحدت انوثتها ولم تفقدها... حكايتي عن انثىً عاشت بيننا في مدينتنا ... غيبها الاعتقال وظلمة الزنزانة وغاب سرها... سر تلك القوة، وبين الأنوثة والثورة التي حملتها في داخلها هناك قصةٌ إصرار... بل حكاية إيمانٍ بدور المرأة في الثورة والمجتمع وهو ما لم يدركه البعض إلا متأخرين فيما لايزال آخرون متعنتون في رأيهم متجاهلين ما قامت به من عمل وما تعرضت له من أذىً...

دمعة أنثىً واحدة في أمة الإسلام كان من المفترض أن يهتز لها الكون، لكن الوهن الذي أصابنا بات يفسر سبب هزائمنا، فلا وجود للمعتصم بيننا ورحم الله تلك الأيام...!! ما أريد البوح به تسجيل علامات استفهامٍ حول حكايتها وأسلوب حياتها، حول الأبواب التي فتحت لها حول كل الناس الذين استجابوا لها دون تردد في وقتٍ غابوا فيه عنا وعن الثورة زمن غيابها القصير في المدة الطويل في الخاطر... تراهم تعاملوا معها كونها أنثى فقط أم أنها بصدق استفزت ملكاتهم... بعضهم إعلاميون ... بعضهم أصحابُ عمائم... بعضهم قادة... وآخرون كثر... غابت وغاب حماسٌ عرفناه حتى نحن أصدقاؤها في داخلنا... غابت وغاب حلم الرصاص والياسمين... غابت وغابت رواية أرادت صياغتها ربما لتعود إلينا على جناح انتصار، بثوبٍ أبيض حلمت به لبطلة قصتها التي أرادت الحديث عنها ذات صيف... هي الآن خلف جدران الظلم وبعض من ادعى مساندتها يقبعون في غرفاتهم خلف المدافئ في شتاء مدينتنا... في كل مرةٍ أكتب فيها عن دمشق أكتبها أنثىً عرفتها وأخرى تخيلتها لكنني في هذا المقام أتحدث عن حقيقة عشتها ... اختلفت معها... وافقتها في أغلب مواقفها... تراها ترجع لتقرأ انتصار بلدتها على بعض الفاسدين... لترى انتصار دمشق... أم ترجع لتكمل مشوار الثورة.

في غنيس

شهيدة الثورة

مبروك... وألف مبروك... أخيراً دخلت سورية إلى موسوعة غنيس للأرقام القياسية، فهي أطول ثورة... وأكثر شعب صبور على مصائبه أخذنا من الجزائر وبلا منافسة بلد المليون شهيد لا بل وأكثر يعتبر النظام السوري الأكثر دموية في العالم فهو من دمر أكثر بنى تحتية. أكثر من قذف شعبه بجميع الوسائل من الهاون إلى البراميل المتفجرة. أول نظام استخدم الكيماوي والحاويات وقام بمجزرة بلا دم أكثر من جمع في سجونه المعتقلين بجميع الأمار والمستويات والوظائف والنساء وحتى الأطفال لم يوفرهم وعرفهم على أفرعه أمنه أكثر مشرد لشبه فلقد خرج من سورية أكثر من 5 ملايين نازح ولاجئ إلى دول العالم... لقد انتشرنا في أصقاع الأرض بفضل هذا النظام الزائل بإذن الله. ولكن بالمقابل فنحن أول شب يخرج ويسب ويدعوا لى حاكمه وهو موجود في حكمه... أكثر شب خرج في المظاهرات أكثر شعب أخرج الأغاني من صميم المعاناة اليومية ونحن أول شب يفضح ماضي وحاضر رئيسه ومازال على كرسيه ولكن السؤال هل هو لا يشاهد محطات المعارضة، أم يدو في غرفة مظلمة مع أولاده ليتاب محطات الأطفال فشكراً لله لقد أدخلتنا غنيس من دون تعب ولكن سيأتي يوم وننتصر بالصبر والإرادة وأملاً بالله.

سجن حلب

سجن حلب المركزي مازال في قبضة النظام .. وتكتم إعلامي من قبل مقاتلي المعارضة يبدو أن أخبار سجن حلب المركزي قد غابت عن الواجهة، بعدما بقيت حديث الشارع ووسائل الاتصال الاجتماعي على مدى يومين، حينما أعلنت كتائب أحرار الشام الإسلامية تحرير السجن وإخلاء سراح المعتقلين بداخله . غير أن هذا الكلام لم يكن دقيقاً، إذ أن معركة " وامعتصماه " لتحرير السجن انطلقت بدايةً بوتيرة عالية، ما لبثت أن خفت، حيث استطاعت كتائب أحرار الشام وجبهة النصرة التقدم بشكل كبير إلى داخل السجن بعد عدة عمليات تفجيرية داخل مبنى (العظم), وتمكنوا من اقتحام المباني الثلاث، على أمل أن يقتحموا السجن الرئيسي في الأيام القليلة القادمة. إلا أن مصادر إعلامية قالت إن الكتائب المهاجمة انسحبت وتراجعت نتيجة كثافة النيران ومؤازرة الطيران لقوات النظام، إضافة إلى استخدام قوات النظام المساجين كدروع بشرية، وتهديدهم بقتل كافة المساجين، ويأتي كل هذا في ظل تعتيم إعلامي من قبل الكتائب المقاتلة، خشية ارتكاب خطأ كخطأ اعلان تحرير السجن . وكانت كل من كتائب أحرار الشام – التي انضوت حديثاً تحت لواء الجبهة الإسلامية– وجبهة النصرة قد فرضتا حصاراً على السجن منذ ما يقارب الثمانية أشهر، ضمن معركة أسموها (معركة فكّ الأسرى) ، وبناء عليه بدأت مرحلة جديدة من الاجراءات العقابية المهينة، حيث توقفت إدارة السجن عن توزيع مادة الخبز، واكتفت بكأس من الرز المسلوق لكل سجين ،وزادت عمليات التعذيب كما حُرم السجناء من الطعام ومُنح كل واحد حفنة طحين تزن 150 غراماً يومياً، اضطروا من أجل خبزها إلى حرق ثيابهم وأغطيتهم ليبقوا شبه عراة، حسبما قالت الهيئة العامة للثورة . وأضافت الهيئة أن عناصر الجيش والشرطة يطلقون النار بشكل متكرر على السجناء ويوقعون قتلى وجرحى لاتهام الثوار بذلك. وارتُكبت مجزرة في 22 أيار الماضي، إذ قصفت قوات النظام السجن ما أدى إلى مقتل حوالى 60 سجيناً و سقوط أكثر من 100 سجين جرحى. كما قضى عدد كبير منهم لعدم تلقي العلاج المناسب و جُمعت الجثث في غرف حتى فاحت رائحتها وبدأت تهدد بوباء خطير، فنُقلت ووضعت في مقبرة جماعية في باحة السجن الشرقية. كما سُجلت حالات وفاة في السجن بسبب مرض "السل" حيث وصل عدد المصابين إلى ما يزيد على 400 مصاب، في حين يموت عدد آخر من السجناء من دون معرفة الأسباب ، وأصبحت شكوى المعتقل من مرضه سبباً للضرب والتعذيب، حيث يخفي سجناء مرضهم عن سجانيهم خوفاً من نقلهم لغرف العزل التي باتت أشبه بـ "غرف انتظار الموت" حسب معتقلين أطلق سراحهم لأسباب وصفت بالإنسانية وأجلوا من السجن عن طريق الهلال الأحمر. سجن حلب المركزي الذي يقع على بعد نحو 7 كم شمال مدينة حلب، هو سجن مدني يتبع رسمياً لوزارة الداخلية ويضم حوالى 4500 سجين، بينهم سجناء سياسيون ومنشقون عسكريون ، لكنه أصبح أخيراً معقلاً للقوات التابعة للنظام والشبيحة، ثم تحول معتقلاً رهيباً منذ بدء المعارك في حلب . وكان النظام قد حاول فك الحصار عن السجن من خلال السيطرة على تلة النقارين في الشيخ نجار وهي قريبة جداً من السجن، إلا أن سيطرة الكتائب الإسلامية على مشفى الكندي القريب من السجن لاحقاً، شكل صفعة للنظام في سعيه لتحقيق هذا الهدف. سيطرة الثوار على السجن فيما لو تمت تعني تحرير الريف الشمالي كله من من سيطرة قوات النظام ، كما أنها تشكل دفعاً معنوياً كبيراً للثوار، في ظل الهجمة الشرسة التي تشنها قوات النظام على حلب في مسعى منها لتسجيل نقاط جديدة تحسب لها على طاولة المفاوضات التي بدأت الجولة الثانية منها في جنيف .

ثورة الألم

فيما تستمر المعارضة السورية بجولات تفاوضية مع وفد النظام في جنيف مع بداية الجولة الثانية، تستمر ميليشيات الأسد بدك المدن والبلدات السورية بالبراميل وبمختلف الأسلحة الفتاكة دون توقف، من جانب آخر يلاحظ اتباع النظام لأسلوب المهادنة في بعض المناطق لاسيما في دمشق وريفها ما يثير علامات استفهام ولتنحو الثورة منعطفاً آخر يحول مسارها في الداخل فبعد الزخم الكبير والرصيد المتزايد الذي حصل عليه الثوار بدأت بعض الممارسات الخاطئة للثوار والكتائب القاتلة على الأرض تنقص من ذاك الرصيد، وقد ازدادت في الأيام الخيرة حدت القتال بين بعض الفصائل كما حصل بين تنظيم دولة الإسلام في الشام والعراق المعروفة ب ((داعش)) وجبهة النصرة أو غيرها، والمتأمل في المشهد الإعلامي يلاحظ ارتفاع حدة الحديث والأخبار المتواردة عن ذاك الاقتتال وبخاصة في المرحلة الأولى لمؤتمر جنيف 2 ثم بدأ التراجع عن تصوير المشهد، لتثار من جديد شكوك أخرى حول أهداف وخلفيات الحدث ومن يقف خلفه، بكل الأحوال فالثورة اليوم تعيش حالة شك إذ إن هروب بعض المثقفين وتخليهم عن دورهم أعطى الفرصة لانحراف المسار عن غايته فيما انكشف ظهر الثوار الذين حملوا السلاح وتركوا فوق مسرح اللعبة بلا جناحٍ سياسي في الداخل يساندهم ويصوب عملهم ...

من ناحية أخرى فقد تحولت الثورة إلى وسيلة للتكسب وظهرت رؤوس أموالٍ لم تكن من قبل مع ما شهدته بعض المناطق من خروقات وسرقات في ظل غياب الرقيب أو الرادع الأمر الذي أعطى القوة والسطوة لأصحاب التوجهات المخالفة للثورة في حين بقي دور الثوار أصحاب الأهداف الحقيقية من الثورة في غياب عن المشهد، ولعلنا اليوم نعيش بداية الفوضى التي حاول نظام الأسد فرضها على الأراضي السورية، هذه الصورة المؤلمة باتت هدفاً يحاول بعض المنتفعين الإبقاء عليها سواءً كانوا من رجالات النظام العسكريين أو ممن ادعوا انتمائهم للجيش الحر...

صورٌ متعددة للألم تشهدها الثورة السورية إن لم يكن أحدها الحالات السابقة فإن تخلي الأمة عنها هو الأخطر حتى اليوم، فجميع الممارسات السابقة يمكن بشكلٍ أو بآخر تفاديها أو التعامل معها، لكن الواقع حتى اللحظة يقول

أن الأسد ما يزال يمتلك القوة على الأرض إضافةً لكونه صاحب القدرة على المناورة السياسية في وقتٍ يعيش مناوئيه حالة الهشاشة والتشرذم، ربما تسلل الإحباط من خلال ما رسمت من تصوير في كلماتي، لكن ثمار الثورة التي حلمنا بها إن لم نتداركها اليوم وسريعاً فقد يطول الأمر وتبقى الأمور على حالها، ويبقى الألم عنواناً لثورتنا، والدم شلالاً لن يعرف التوقف .

خرج ولم يعد

كلمات كنا نسمعها فيما مضى من حياتنا اليومية ولكن بصورة مغايرة عن الواقع الذي نحن فيه الآن .خرج ولم يعد ولا حتى جثة هامدة مغطاة بقماش أشبه ما يكون بالكفن الذي اعتاد عليه أهلونا منذ زمن ليس ببعيد كل ما وصل عنه كان خبراً من زميل له في الزنزانة شاركه المكان والمأكل أو كان رفيقه في لحظات عمره الأخيرة ولعله كان جاراً في زنزانة مجاورة سمع الخبر خلف ستار، وفي حالة أخرى تعود الأوراق الثبوتية عن طريق قاتليه مرفقة بتقرير طبي كاذب يدعى الموت بذبحة قلبية أو ما شابه ذلك . قدر الله وما شاء فعل.. القضاء و القدر مكتوب وليس منه مفر، الإيمان بالقضاء من سمات الإنسان المؤمن.

باتت حكاية السوريين اليوم أقرب ما يكون للخيال بل وبلا ريب لم يشهد التاريخ مثيلاً لما يجري .. أن يأخذ الرجل من بيته أو مكان عمله أو من أحد الحواجز لمجرد تشابه الأسماء أو حتى لقرابة تربطه بأحد الثوار...

في الثورة السورية يذبح الموت راحة ذوي الشهيد إذ أن الاعتقال كارثة يأبى الناس الحديث عنها ويخشى الوقوع بين فكيها السوري وليس ذلك بالأمر العجيب فما نسمعه عما يحدث داخل أقبية الأسد المظلمة يدعو للرغبة بالموت على أن تواجه مصاص دماء يتلذذ بتعذيبك... والمصيبة الأمر هي الحالة التي تعيشها أسرة المعتقل ففي اللحظة التي يعيشون فيها أمل العودة تأتيهم أمتعة ابنهم . وقد بات البعض يفرح لمجرد استقبال الخبر فقد ارتقى من عناء الاعتقال وقيد الذل المفروض وانتقل إلى ظل أرحم الراحمين . ولكن يبقى في الصدر غصة فالتاريخ يحدثنا عن أقارب فقدناهم في أماكن بعيدة لكن لم نحرم نظرة الوداع الأخيرة وهي ما يفتقده السوريين اليوم. هي حكاية الشهيد بشير سعيد العجوز (أبو هيثم) الذي قارب الخمسين من عمره، تبدأ من لحظة اعتقاله على أحد الحواجز من ضاحية قدسيا بلا تهمة محددة لكنه الحقد الطائفي الأعمى، وغيب لمدة طويلة لم يعرف فيها أهله شيئاً عن أخباره إلى أن أتاهم خبر استشهاده تحت التعذيب في عتمة الزنزانة . نسأل الله أن يتقبله في زمرة الشهداء ويجعل ثأره وإخوانه قريباً .

كاريكاتير العدد